(10)

جثة بها روح

لم يعد يستطيع تحمل ما يشغله منذ أيام، إن الموت يسري في أعصابه تدفق ماء عند نبع متجمد، الأرواح من حوله تتراقص، وهو يتقلب في فراشه تقلب المحتضر على سرير الموت، أنفاسه تتصاعد منقطعة وخفقات قلبه تتصارع، شعر بصداع قوي كأن ضجيج العالم كله داخل راسه الملتهب، حاول ان يغمض عينيه ويستسلم لسطان النوم، ولكن السؤال يأبى أن يخرج من ذاكرته.

وأصر أن يمنعه من النوم رغم أنه بأمس الحاجة إليه، وكيف يأتيه النوم وقد تجرع سؤالا علقميا في كأس صدئه ولى وجه إلى جبل تصدع وانهار.

اين من انت؟ سؤال أعاد الروح إلى ذاكرته بعد أن كان مدفونا بين بقايا أنقاض أيامه وجعله ينفض عنها غبار النسيان،

حاول الدخول في السنين المنسية ليتذكر شيئا من أيام الطفولة، حاول قطف زهور الذكريات ليطرد بعبيرها الرائحة العفنة التي تبعثها أشباح ذاكرته المفجوعة.

اين من انت .. سؤال لم يعد يريد سماعه يضغط براحتي كفه على رأسه بقوه، ولكن مادخل رأسه.. هو الآخر يئن لحاله ويبحث عن متنفس يرمي من خلاله كوامن بركانه المعتلج.

تجتاحه رعشة توقظ أوصاله، ينهض من سرير الاحتضار، يمسح حبات العرق المتناثرة على جبينه المشتعل، ينتفض بصمت، يدخل حجرة أمه الباردة، يصرخ : أمي .. أمي ابن من أنا.. لكنه يتراجع،

يظل مكانه هامدا جامدا كالتمثال، يقترب منها يرى الاصفرار على وجهها، تنظر إليه بأسى وتجهش ببكاء حاد مصحوب بتوجعات ألالمها، تشده إلى صدرها وتضمه بحرارة لم يعهدها من قبل، يرتمي في حضنها رمية اليتيم المنبوذ ودون مقدمات قالت:

- وانا لست امك يا ولدي.

تنزلت الكلمات ويلا من نار حرقت مسامعه، لقد حولته بكلمات قليلة إلى جثة بها روح نهض من حضنها بهدوء ورجع أدراجه إلى الوراء مذعورا واخترق الباب باحثا عن مكان ما.